

تحية للرافعي

للأستاذ منصور فهمي بك

مات مصطفى صادق الرافعي ، وما لقيت إلا مرات قليلة
قد لا تتجاوز أصابع اليد عدا ، ولم ترتبط يدي وبينه عقدة
الصداقة الخاصة التي طالما يكون من شأنها أن تولف بين
قلوب الناس على الأنس والمودة في الحياة ، وطالما يكون من
شأنها في المئات أن تؤوي الأسى في القلوب .

على أنه إذا كان قد قل لقائي بالرافعي في الحياة ، ولم
تربطني به علاقة وثيقة من حقها أن تدفع القلم في سبيل الرأى
فإن في حق الوفاء لما قدم الرافعي من خير متسعاً يفسح لقلبي
ولغيره من الأقلام الوفاء أن تذكر ذلك الراحل العظيم .

وعظمة الرافعي التي أنوه بها الآن على عجل إنما مرجعها
اتصاله الوثيق بتراثنا الأدبي القديم دون غيره فنهل من شرابه
العذب ، وتغذى من خلاصاته القوية الصالحة ، فإذا بها تتمثل
في أسلوبه ، وتغلغل في أدبه وتهذيبه ، وتمازج في تفكيره
وتعبيره ، وتندمج في تقديره وتديبره ، فاستطاع أن يشق
للأدب القديم التليد ، سبيله في الأدب الحديث العتيق .

فأى إنسان يرى في التراث الماضي نبل هذا التراث
ولا يألم حين يفقد حارساً يقظاً لهذا التراث وداعياً له عليماً ،
ومعرفاً به حكماً ، وأى وريث لثقافة العرب لا يجزع حين
يموت أديب عربي كبير كان يعرض في أدبه للخلف ، جميل
ما جادت به نفوس السلف ؟ وأى أسف لا يستولى على
النفوس بموت الرافعي النابغة الأديب حين يمر على الخاطر أن
الناس قد فتوا بالحاضر ، فنسوا ودعوا محامد الغابر ؟

وإذا كان من حق الآثار الصالحة أن تبعث من قبورها ، أفلا
يحق على الناس أن يأسفوا على من كان يعمل على نشرها من مراقدها ؟
وا أسفاً على الرافعي ، ثم وا أسفاً على الرافعي !

فألى الأدباء إذن وإلى الشعراء ، وإلى آل الرافعي جميل
العزاء ، وعليهم جميعاً للرافعي الأديب الكبير بعد ذلك حق الوفاء .

منصور فهمي

مكتب المحامى ولم يجده إلا في مدرسة القرية ، فصار (معلم
صبيان) فيها ، يقرئهم الف باء ، ثم ارتقت به الحال قليلاً ،
فصار يدرس سير الأدباء ، وأشعار الشعراء ... يكذب ويتعب ،
في الليل والنهار يحمل آلام الغربة ، وعناء العمل ، ثم لا ينتج
أثراً أدبياً ، ولا يفيد علماً ، ولا يحفظ في جيبه درهم واحد ...
إنه يشتغل من أجل المستقبل ...

- ٩ -

أين ذلك الطفل الذي كان يكره المدرسة ، ويغض المعلم
القاسى - من هذا المعلم الفظ ، الذي يرهق الأطفال ويهز عصاه
في وجوههم ، ويقرع بها جنوبهم ... من يستطيع أن يتصور
أن هذا هو ذلك ؟ وأى شبه بينهما ؟ انهما مختلفان في الجسم
والشكل والطباع والميول ، فلن يكونا شخصاً واحداً !

أين ذلك الطالب المتحمس الذي كان يقود الطلاب إلى
المظاهرات ، ويخطب في المساجد والجامع والأسواق ؟ من هذا
المدرس الخامل الذي يلتقي دروس الأدب على هؤلاء الطلاب ،
ويبدو فيهم كشيخ م في الثمانين ؟ هل هما شخص واحد ؟
إن ذلك الطالب لو رأى هذا المدرس لأبغضه وكرهه
ولما تردد في البطش به !

وأين ذلك الشاب الذي تفيض نفسه بالآمال الكبار ؟ من -
هذا اليائس القانط الذي لم يعد يأمل في شيء ، لأنه جرب فلم
يصل إلى شيء ؟

- ١٠ -

وبعد . فلم أفكر في هذا ؟ إني لا أدري من أنا ، ولا
أعرف كيف وجدت ، ولا أعلم ماهي صلتى بذلك الطفل الذي
نسيت حتى صورة وجهه ، وذلك التلميذ الذي لم أعد أعرفه
إلا بالتخيل ، وذلك الطالب الذي أحبه وأتوق إليه ، وذلك
المعلم الذي أربى له وأشفق عليه ؟

هل أنا كل هؤلاء ؟ وماذا بعد ؟

يا الله ! إني أحس كأنني جئنت حقاً ؟ !

(بغداد)

على الطنطاوي